مكتبة المقتطف

عبقرية الصديق

تأليف الاستاذ عباس محمود العقاد

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، سنة ١٩٤٣ ، الثمن ٢٥ قرشا

ان شخصية أبي بكر هي إحدى الشخصيات الممتازة الاولى التي جعلت صاحبها حديث الناس — فلا تجد لأحد من اصحاب رسول الله من الذكر والشهرة ما تجد لأبي بكر ولا تجد إجماعاً على فضل كالاجماع الذي انعقد على أبي بكر ، ومع ذلك فان الذي روي من أخبار أبي بكر وما حفظ عنه ، وما عرف عن حياته الخاصة ، وما أثر من أحاديثه وخطبه ، أقل بكثير مما روي عن الذين لم يبلغوا مرتبته في الفضل ولم يذكروا على ألسنة الناس كما ذكر أبو بكر حتى صار ثاني اسم في الاسلام بعد رسول الله . ولم تكن شهرته قد جاءته بعد وفاة النبي ، ولم تكن من أجل خلافته على المؤمنين ، بل لقد كان أبو بكر مذكوراً مشهوراً مقدماً في حياة رسول الله . اذن فهناك أسباب قد حالت دون كثرة ما يجب أن نعرفه من اخبار أبي بكر ومن كلامه ومن خطبه ومن حياته الخاصة . وهذه الاسباب يردها على الاكثر الى الاضطراب الذي حدث بعد وفاة رسول الله ، ثم موت كثير من الصحابة في قتال الردة . ثم لاشتغال اكثر من عرف أبا بكر بأمر الجهاد وفتوحهم في البلاد ، ثم لاهتمام المسلمين بأمر اخبار رسولهم يحوطونها ويحفظونها أن تضيع ، ثم لقلة زمن خلافته ، ثم لمجيء العصر العسكري في صدر الاسلام ، عصر عمر بن الخطاب الذي كان يتدفق بقوة هذا الرجل العصب الذي سهر الدنيا وشغل الناس

ولقلة ما عرف عن أبي بكر وقلة ما أثر من كلامه ، كان من العسير على الكاتب الذي يريد أن يكتب عن شخصيته أن يتوسع في تحديد صفاتها تحديداً بيناً مثل ما نرى الشهرة التي ذاعت له . ولذلك لجأ بعض الكتاب حين كتبوا عنه الى التاريخ فحسب ، وهو عمل عظيم الشأن في

ذاته ، ولكنهم لم يفردوا كتاباً يصورون به هذه الشخصية تصويراً يجعل قارىء الكتاب كأنما يصاحب هذا الرجل في حياته ، فيفهم أعماله وأقواله وأحكامه فهماً يتميز به عن غيره من عظماء الرجال . هذا الى أن تصوير شخصية ما ، عملٌ فنيٌّ عسرٌ يقتضي أن يكون الكاتب مستولياً على خصائص في نفسه تهديه الى معرفة العناصر الاساسية التي تتكوّن منها الشخصية ، وتنبّهه الى الكلام أو العمل الذي ينبغي لهُ أن يقف عنده طويلاً يتأملهُ ليستخرج منهُ هذه العناصر ، ثم تسوغه القدرة على ترتيب هذه العناصر بدقة لا تخطىء ، ثم تلهمه الاسلوب الموفق الذي يمزج به العناصر مزجاً رفيقاً حتى يصوغ منها الشخصية التي تفسر كل شيء من الاعمال المختلفة المتباينة تفسيراً منطقيًّا صحيحاً لا اختلال فيه

وقد عرض الاستاذ العقاد لتصوير كثير من الشخصيات ، فكان عظيم التوفيق في استجلاء العناصر الاولى التي يجب أن تتوفر له في تصويرها ، ثم عرض في كتابه الأخير « عبقرية الصديق » صورة لأبي بكر الصديق ، كان فيها أكثر توفيقاً وأدق عملاً ، وكل الكلمات التي وقف عندها ، والاعمال التي تأملها ، كانت بغير شك أحفل الأشياء بالعناصر التي تتكوّن منها صورة ابي بكر . وكان العقاد ماهراً في نفي ما لا حاجة للصورة به ، وأخذ ما لا تتم الصورة الا به ، ثم رتب ذلك ومزجه ، ورسم لنا شخصية أبي بكر بدقة تجعل القارىء يشعر ان الكاتب لم يتعب في عمله ، مع انهُ قد بذل من الجهد ما يستوفي التعب ويزيد عليه

وكما استطاع العقاد ان يصل الى « مفتاح الشخصية » في صورة عمر بن الخطاب ، استطاع ايضاً ان يهتدي الى ان « مفتاح الشخصية » في صورة ابي بكر هو : « الاعجاب بالبطولة » . وقد قدم الادلة مفسرة لاعمال أبي بكر كلها ، فتعرف صدق ما ذهب اليه في اقباله على الاسلام اقبالاً لا تردد فيه ولا تحبُّس ، ثم في صداقته لرسول الله واتّباعه فيما جاء به من الحق ، ثم في اخلاقه التي امتاز بها أحسن الامتياز . ولم يشأ العقاد ان يفصل أنواع الاعجاب « بالبطولة » ، وان يعطي أبا بكر منها ما هو موافق لطبيعته ومطابق لأقواله وأفعاله . فقد كان عمر بن الخطاب معجباً بمحمد غاية الاعجاب ، ولكن الاعجاب بالبطولة كان صفة من صفاته ، ولم يكن صفته الاولى التي تغلب على كل الصفات ، لذا فقد حق الاعجاب بقيت له بقية المناقشة والمراجعة . واستطاع ان يجمع بين التدقير والاستبصار والتفسير ، فكانت له طريق الى الاعماق تصاحب طريق الاعجاب وتنتهي معها الى مثل نهايتها . أما أبو بكر فكان الاعجاب بالبطولة أقرب طرقه الى الاعماق وأكثرها في السواء .

ثم أراد أن يزيد رأيه بياناً ، لتظهر صورة أبي بكر على أتمها ، وبذلك يمهد للقارىء الطريق الى فهم أعمال أبي بكر وأقواله فهماً مميزاً عن غيره من عظماء التاريخ ، فقارن في فصل سماه « نموذجان » ، بين أبي بكر وعمر بن الخطاب . فكان أبو بكر نموذج الاقتداء ، وكان عمر نموذج الاجتهاد ، فلذلك كان حبّ أبي بكر لشخص رسول الله هو الذي هداه الى الايمان بنبوّته ، وكان اقتناع عمر هو الذي هداه الى مثل هذا الايمان . وليست المقابلة بين هذين النموذجين مقابلة بين قوّة وضعف ، وقدرة وعجز ، بل هي مقابلة بين القوة من نوع والقوة من نوع آخر ، فقد يكون الاقتداء خيراً كله ، ويكون الاجتهاد لا خير فيه ، وقد أبان العقّاد عن نوع قوة أبي بكر بمقارنته بين موقفه وموقف عمر حين فجأهما موت رسول الله

ثار عمر وغضب وهدّد الناس ، وجاء أبو بكر هادئاً ساكناً فسكّن الناس ، فلما زالت غاشية الفجاءة ظهر أن عمر لم يكن ثورة كلّه ، بل كانت فيه الى جانب الثورة رويّة تعالج أدق المشكلات في أحرج أوقاتها ، وظهر ان أبا بكر لم يكن رويّة كله بل كان يزيله أحياناً عن رويته ما يثور في قلبه من الحب والألفة . وأتمّ ذلك بعرض أعمال أبي بكر وعمر في مسائل كثيرة اختلفا فيها كمسألة الردة ، وكمسألة خالد بن الوليد ، وكمسألة المؤلفة قلوبهم ، واستقصى علل الخلاف ، فكان مفتاح الشخصية الذي صنعه لكل منهما يتسق معه ما استغلق على كثيرين

وقد استطاع العقاد ايضاً أن يجمع العناصر المتفرقة من أخلاق أبي بكر وشمائله ويمزج ألوانها مزجاً دقيقاً حتى انتهى الى الغاية في تصوير الرجل بصورته التي تجعلها حية في نفس من يراها وتجعله يعرف كان أبو بكر — وعلى قلة ما عرف عنه — هو الرجل الثاني في الاسلام بعد رسول الله . وأنّ هذه الطبائع والاخلاق هي التي كانت تعد لمواجهة الموقف الحرج الذي لازم موت رسول الله ، ولو كان غيره من العظماء الذين صحبوا رسول الله هو الذي واجه الموقف ، لكانت النتيجة التي ينتهي اليها أمر الاسلام غير موفقة كلّ هذا التوفيق الذي جعل أبا بكر بعد محمّد رجل الدعوة الاسلامية بعد صاحبها صلوات الله عليه وسلامه . واذا أنت انتهيت من قراءة الكتاب « عبقرية الصدّيق » لاحت لعينك صورة صحيحة لبطل من الابطال استطاع أن يؤسس دولة جديدة خرجت الى الدنيا لتعلمها أن الانسانية قد كتب عليها أن تحيى حياة حرّة سامية ، لا قيد فيها الا قيد الخلق العظيم . ولا حدّ لها الا السموّ بالانسانية كلها عن الحق والجمال والعدل والمساواة بين الناس

*

ابراهيم الثاني

بقلم ابراهيم عبدالقادر المازني. مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر — القاهرة ١٩٤٣ — ٢٢١ صفحة من القطع الصغير

نقد بقلم الدكتور بشر فارس

من سنوات عملت بحثاً في الفرنسية طرحته على أعضاء مؤتمر المستشرقين في بروكسل ثم نشرته لي « مجلة القاهرة » السنة الماضية ، وأظن « المقتطف » أجلت ما له في سنتنا هذه تخبرتك بأني نظرت في مجرى الأدب المصري لسنة ١٩٣٨ من الجانب الاجتماعي ، ومعنى هذا اني تناولت الكتب الأدبية على اختلاف ألوانها تناول من يستكشف مجرى الحياة الاجتماعية من التآليف فيستخرج الحالات الذهنية والنفسانية والثقافية والارادية ويتبين النزعات المختلفة ، وبذلك يتحسس مدى الانقلاب الذي يعانيه الشرق العربي الآن

ومن هذه الوجهة أحب أن افتتح الكلام على « ابراهيم الثاني » . ذلك بأنه كتاب حيّاش بالحياة ، الحياة التي لا تني مندفقة خطة ملتفة في ذهن الفنان ولا يعوق منفجرها قعود في الخاطر أو تباطؤ في الأداء . هو كتاب داخل في فن القصص ولكنه كالقصص المدوَّن أولاً أولاً في دفتر يجول القلم فيه يوماً بعد يوم . ان حروف هذا الكتاب من مادة الحقيقة . هو مرآة للطور الذي نقبل عليه وربما دخلنا فيه من حيث لا ندري . ولا شك ان المرأة قطبه فانها الموجِّهة في أكثر الحال وان ظنّ بعض الاغرار ان أمر اتجاهها في قبضة الرجل وحده . ومن هذا الباب خطر « ابراهيم الثاني » فانه يعرض ثلاثة أصناف من النساء المصريات الحديثات :

احداهنّ زوجة فطنة أحست أن رجلها ملول بل طرق بعض الشيء ، عدلاً من أن تغضب وتثور و « تكدر عيشته » كما تقول اليوم أخذت تحيطه بالفتيات الحسان اللواتي بينهنّ وبينها ألفة وايناس ، رجاء ان تدخل السرور على قلبه وتنشر الانبساط في جوه . وتلك حيلة تشف عن لباقة ، وما كنا نعرف لنساءنا بقادرات عليها . والغرض من وراء هذه الحيلة أن ينجو الرجل من باب الضجر فينقل بالفكر لا بغيره بين ازهار مفتحات فيعود بشوق وارتياح الى الغصن الذي اعتاده وان دنه التغيير

واما المرأة الثانية فقناة حرمت حق التقاليد فكسرت قيودها يوم انجبت فاستيقظت أنوثتها . فتراها على استعداد تكين حبيباً منها اذا رأت سعادته في ذلك . وتراها بعد ذلك حين تلتقي بطلنا ابراهيم « الخانك » لا الثاني « تتعلق تريد ان تعدو بعيد عنان وتحاول وتطلب أن تتحرر وتحرك في القليل الباقي لها من المعركة ما يخطر على بالها ان تستمده من منع الحياة ولذات العيش »

وأما المرأة الثالثة فشأنها بدعة بل فتنة. أحبت بطلنا — ومن لا يهواه لولو شمائله؟ — فأصرت على أن تكون له قلباً وجسماً وإن كان ذا زوج يودها ويجلها، بل أصرت على أن تنصرف عن الزواج «وتقتل» اليه. اني هذا الفاتك الذي يغوي وهو يوهم المرأة ويحاول أن يوهم القارىء أنه غير مذنب وانه اجتهد في دفع خليلاته عن الغواية بالنصيحة والارشاد بل حملهن على تركانه وعلى إيثار شاب قابل للزواج على كهل (موليع في وليجة نفسه بالمخادنة). لذلك لا أصدق «ابراهيم الثاني» حين يخبرني في خاتمة قصة «ميمي» انها رضيت عنه راضية مقتنعة لتقترن بفتى لا تحبه الحب الصادق. ان في هذه الخاتمة تزيداً وتوشية. انما بذلك يحدثني حسي الدفين، وعيّ التبعة وإن ثار المازني وهل يثار على لحم مثلي لا يرجف ولا يخشى سرًا، ولكنه يحكم بخاطره، ولا بد من الحكم اذا نقد وتقصى.

هنّ ثلاث نساء مصريات شرقيات محصنات لا عهد لنا بأمثالهنّ، غير انهنّ موجودات وقد يقربهنّ ويلمسهنّ من يغامر ويخاطر. وعرضهنّ في هذا الكتاب اثبات لطور جديد للمرأة أظنه ذاهباً في الارتكاز باسترداد المرأة شخصيتها من طريق التثقف والتطلع الى حال المرأة الغربية.

بقي ان أحدثك عن أسلوب الصديق المنشىء في سياقة أحوال هذه النساء الثلاث، الى جنب حال البطل نفسه.

أما الطريقة فهي الواقعية وما تنطوي عليه من وصف دقيق للأشياء ومن تحليل لمعمن الحالات والخطرات والنزعات. وربما جاء الحديث غاية في المباشرة فلا همس ولا تلويح ولا إيماء. وربما دخل في الاعتراف. مثال ذلك: ما يصرح به المنشىء في شأن البطل فهو يكاشفنا بأنه صاحب أناة ومواساة ومروءة ورؤية وهدوء وفلسفة. فليس للقارىء أن يعمل فكره لاستنباط كل ذلك واستخراجه من جريان الحوادث واحتدام الحالات وانتظام الحوار. تلك طريقة من طرائق التعبير، وهي بين أنامل المازني في أسمى درجاتها.

وأما الاسلوب فكثيرون مضياء يوم نقدت كتاب «عود على بدء» ووقفتك على ترسله وتدفقه وتصرفه. وهذا الكتاب شاهد جديد على ان المازني من أحسن الكتّاب لسجاً وأعلاهم أدبًا. بل لا أعرف كاتباً حديثاً انقاد البيان له مثل انقياد للمازني. فريحة سمحة وخطو منسجم ومنساق حتى كأنها تبتكرك هنا وهنا بالبلغاء المقدمين أمثال ابن المقفع والجاحظ. اقرأ له مثلاً ص ١٠٣ ... مع ما في هذا الأسلوب البديع من لفظ زائد أحياناً (مثلاً «... تلزم بيتها لا تبرحه» ص ٢١ — «جلست بين عمر ومي ... وجاذا وتحلى عنها» ص ١٠١ — «وكان فرعاً غير مثمر» ص ١٠٤) ومع ما فيه من مبتذلات وذكريات قراءة

(ص١١٨و٢١٩). ومن محاسن هذا الأسلوب ما يطرد فيه من ألفاظ فصيحة لا غنى عنها لاستيفاء التعبير في القصص وان عدها الجهال تفاصحاً البوم . ومن محاسنه أيضاً ان الكاتب القدير قدرة الاستاذ المازني يستطيع ان يروّض الصعب ويدني البعيد « انظر اليه كيف ينفتل عن الحرج وهو يسرف في الغزل » (ص ٢١٠)

ولا أترك هذا الباب دون أن أخبرك بأن المازني في هذا الكتاب لم ينصرف الى الكلام الجاري على ألسنة الناس انصرافاً مقصوداً كما كانت حال قلمه في « عود على بدء » . فالذي يلوح لي انه ذهب اليه متباطئاً متثاقلاً ، فاني لم أحصِ له غير خمسة تعبيرات وألفاظ (ص ٣٦ و ١٣١ و ١٥٩ و ١٦٦ و ١٨٤)

تلك قصة « ابراهيم الثاني » وقد حاولت أن أنبهك الى خطرها من الناحية الاجتماعية وأن أبين لك رفعتها في جانب الادب الخالص ، بارك الله في براعة الاستاذ الصديق فهو يصبّرنا ويعزينا عن جلّ ما يخرجه الكتبة في هذا الزمن[1]

ب . ف

حديث السندباد القديم

للدكتور حسين فوزي صفحاته ٣٧٥ صفحة من القطع الكبير ، طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

كان الدكتور حسين فوزي العميد الحالي لكلية العلوم في جامعة فاروق الاول والمدير السابق لمعهد الأحياء المائية في الاسكندرية في طليعة روّاد القصة الحديثة في مصر الذين شقوا الطريق ومهّدوها ، ووضعوا الأسس وثبتوها . وهو الى جانب هذا شاعر عذب الرنين كاد يعدُّ على المسرح المغربي جناحه يوم بدأ تأليف مسرحيته الشعرية كليوباترة لولا أن عرّس البحر وجباته اجتذبته من عرائس الشعر وربات الفن ، ولولا ان شغلته حقائق العلم ومرئياته عن تصورات الخيال واحلامه ، ولكن برغم التحول فيه بقي للعالم حسين فوزي أسلوب القاصّ ورنين الشاعر ، حلاوة السرد وفتنة التعبير . ولا أنسى وداعه لسفينته التي عبر بها المحيط الهندي وهو الذي ختم به كتابه « سندباد عصري » فهذا قصيدة شاعر . لهذا حبب الى القارىء ما يكتبه هذا العالم الأديب

فقد طالع قراؤه في كتابه السندباد العصري طرفاً من مشاهداته في رحلته في المحيط الهندي ، وهم يطالعون في كتابه الجديد « حديث السندباد القديم » لوناً جديداً من الرحلات

ونعد امتد به خياله الى تيه البحر الآن من فوق الشاطىء بعد أن عزت عليه المغامرات بسبب هذه الحرب الطاحنة ، وعادت به الذكريات الى قصص سمعها في طفولته ، وقصص

---

[1] المقتطف : نحن نأسف بقدة لجرى الاديب الكبير الاستاذ عبد القادر المازني « مبدو وتركه » فهو يعبر حين ، ويعترض في عدد آ

قرأها في حداثته عن السندباد البحري وعن عجائب البحار فدفعه ذلك الى القيام برحلة خيالية في المحيط الهندي لا كما عرفه في رحلته الواقعية بل كما عرفه البحريون العرب فيما بين القرن التاسع والقرن الرابع عشر . فقرأ مخلّف رحالة العرب وجغرافيوهم من آثار في هذا القبيل، قرأه بروح الرحالة البحاثة على ضوء حقائق العلم الحديث ولاءم بين أساطير أولئك وبين الواقع الذي تجلّى لعالم اليوم. فكان هذا منهُ فضلاً على هذه الآثار وإحياءً لها وتجديداً

فلقد سمع رحالة العرب قصصاً ، ورأوا ظواهر طبيعية لم يستطع العلم يومذاك حلّ لغاز ، فرأى المؤلف من واجبه أن يكشف عن هذه الظواهر كعالم خبير ، وان يحقق هذه الاقاصيص تحقيق باحث امين ، فوُفّق في ذلك خير التوفيق ، وتناول في القسم الاول من الكتاب المعارف العربية في الرحلات والاقاصيص : وتناول في القسم الثاني جوهر هذه الاقاصيص . واستطاع بذلك ان يتصدى لهذا الموضوع رجلاً واحداً جمع في نفسه من ابواب العلم والمعرفة ما مكنهُ من تحقيق هذه الغاية بما هو أهل للثناء والتقدير

ولقد كان في اخراج هذا الكتاب ظفر للمكتبة العربية يأثر له قيمته ونفاسته من الوجهتين العلمية والادبية ، فهو كتاب يقرأه الاديب والعالم فيجدان فيه لذة روحية ومتعة عقلية ، ويجدان فيه هذه الحيوية التي تفيض بها آثار هذا المؤلف حسن كامل الصيرفي

روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة

تأليف الياس ابو شبكة . منشورات دار المكشوف ببيروت ١٩٤٣ في ١١٦ صفحة من القطع الوسط

لعلّ خير ما يوصف به هذا الكتاب أن يقال انهُ تحية الى فرنسا والى الادب الفرنسي بوجهٍ خاص . فالمؤلف وان كان معنيًّا ببيان الصلات العقلية والثقافية بين العرب والغربيين عامة ، إلاّ انه يرى أن سائر الآداب الانسانية مدينة لفرنسا بالشيء الكثير ، لأن فرنسا كما قال أحد المؤرخين هي « القرن الذي يخبز فيه خبز الانسانية الثقافي » . ونحب أن نعلن تأييدنا للمؤلف في قوله (ص ١٧) : « ان الوضوح من المزايا الثمينة التي اتصف بها الفكر الفرنسي ودفعت أدباء الارض الى الاقبال على فرنسا ، والاستقاء من معينها فذا « أنشودة رولان » الى الربع الاخير من القرن التاسع عشر تقي أدباء فرنسا ، كتابها وشعراؤها ، يحترمون تلك الحقيقة الادبية . وهي ان الاديب لا يكتب إلاّ ليُفهَم ، وان على الكاتب ان يكلف نفسه مشقة الافهام، وليس على القارىء أن يكلف نفسه مشقة حل الرموز والاحاجي » وقوله ص ١١٨ : « ويقيننا انهُ لولا ذلك الوضوح الشرق في الفكر الفرنسي ما كان للادب الفرنسي ذلك النبوغ المتفوق في مشارق الارض ومغاربها » : ويجد القارىء ما يشبه هذا

الرأي مبسوطاً في خصائص « التفكير الفرنسي » وهو بحث لنا نشره المقتطف شهر نوفمبر ١٩٤٢ ص ٣٦٩ وما بعدها)

وجملة القول ان هذا الكتاب — على ما فيه من قصور في بعض المواضع — جدير بالاحترام ، لأنه يصدر عن قصد نبيل ، وعاطفة صادقة : وهي الاعتراف بالجميل لبلاد لها على الانسانية المفكرة يدٌ لا تنسى ، « فرنسا الأدبية » كما قال المؤلف ، حية في كل أرض يستنشق فيها روح انساني »

عثمان أمين

١ — اسكندر الأكبر

لعزيز خانكي بك — صفحاته ١٤٨ من القطع المتوسط — الطبعة المصرية

ظفرت المكتبة العربية بهذا الكتاب الذي يعد — على ما نعلم — أول مؤلف وضع بالعربية عن حياة ذلك العامل الكبير . ومجيب جدًّا أن يظل الاسكندر الأكبر قروناً طويلة في التاريخ الاسلامي تروى لهُ الحادثة ، أو يُذكر الخبر من أخباره أو الوقعة من وقائعه في عرض التاريخ كما فعل المسعودي والبيروني والمقريزي وغيرهم ، ولا يظفر من واحد من مؤرخي العرب بكتاب مستقل ودراسة مستفلة كما يفعل الغربيون في ترجمة بعض العظماء من رجالنا

ولاشك ان كاتب السير ومؤرخ الأبطال تستهويه من حياة الرجال نواح توحي اليه بالكتابة وتدفعه الى المحدثين عنهم . وعزيز بك خانكي يعترف في مقدمة كتابه بهذا حين يقول (تولتني الدهشة من عظمة هذه الشخصية العجيبة فحفزتني الى كتابة سيرته ملخصة من الكتب التي ظالعتها وهي تنيف على الستين)

وهذا العدد من المراجع ليس كثيراً على من يريد أن يتحف العربية بكتاب عن ملك وفاتح من أعاظم ملوك التاريخ وفاتحيه . ولي المؤلف صبر على معاودة هذه المراجع ، وفيه جَلَدٌ كثير في التحقيق والتدوين وجمع المتشابه ولمّ الطرائف والنوادر . تعينه على ذلك ذاكرة قوية وذخيرة لصور الماضي

أما الاسكندر وهل هو ذو القرنين أم هما رجلان فقد اختص المؤلف هذه المسألة بكلام طويل ورجع فيها الى حكم مجتهدين وبعض المحققين من المعاصرين ، وفاته أن للمقريزي في هذا الموضوع كلاماً انفرد به كلٌّ من أدلى دلوه في هذه المسألة ولكنهم لم يذكروه . وكلام المقريزي في الجزء الاول من خططه صفحة ٢٤٧ مطبعة النيل . وقد قامت في مجلة الرسالة الغراء من أخيرٍ مناقشة في هذا الموضوع بين الدكتور ابراهيم الدسوقي والشيخ عبد المتعال الصعيدي ولكنها لم تصل الى رأي حاسم

في هذا الكتاب مزيتان صف الاعلام بالرجمة بحروف لاتينية ، كما ان فيه مزية أخرى

وهي إيراد بعض النصوص والعبارات الافرنجية مع ذكر ترجمتها العربية ، ولو انهُ في قليل من الأحيان لا يذكر الترجمة فيضيع على من لا يعرف الفرنسية بعض المعنى

أما أسلوب المؤلف فهو أسلوب المؤرخ المعنيّ بسرد الحوادث على نسق شائق ، ولهذا لا تجد فيه غرابة أو اغرابًا أو اسهابًا في تكلف . ولكنه سهل يمتنع على من يحاوله . وتلك مزية عزيز بك خانكي في كل ما يكتبه من كتب وما ينشره من مقالات

ولعلّ المؤلف بعد ما أشبع رغبة المؤرخ المتعمق فيه بكتاب على هذا النمط ، يعود الى الموضوع نفسه فيشبع رغبة المترجم الاديب ورغبة جمهرة القراء في أسلوب من الترجمة يخلو من النصوص وترجمتها الدقيقة ويحفل بقصة رجل فيها من التاريخ المتعمّق حقائقهُ وفيها من الرواية أسمرُ وأوْدها

٢ — الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

المجلد الثاني من القسم الاول — صفحاته ٤٦١ من القطع الكبير
طبعة كلية الآداب

مؤلف هذا الكتاب أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني فهو من أهل الاندلس ، وهو غير أبي الحسن علي بن منصور بن بسّام البغدادي الذي عاش في القرن الثالث الهجري وتوفي في مطلع الرابع

وفرق ما بين السمين في الزمان يزيد على مائتين من السنين . أما فرق ما بينهما في الأخلاق فقد عرف من أدبهما وطريقة تأليفهما . فالبغدادي شاعر خبيث اللسان حديد الكلام لم يسلم من هجائه أبوه ولا جماعة من وزراء بغداد ، والأندلسي عف اللسان شريف المقال صان كتابه عن أن يذكر فيه من شعر الهجاء ما لم يتورّع الثعالبي عن ذكره في كتابه اليتيمة[1]

ويعد طبع هذا الكتاب الجليل عملاً جليلاً لكلية الآداب ، فهو سجل لأدب الأندلس ومفتاح من مفاتيح الحياة الأدبية فيها . وهو كتاب تراجم وتعريفات وافية لكثير من شعراء الأندلس وأدبائها وعلمائها ووزرائها . ولم يفت المؤلف أن يترجم لأعلام عصره أو يذكر شيئاً من أخباره معهم كما صنع مع أبي العباس احمد بن قاسم المحدث[2]

ويمتاز ابن بسام بذوق أدبي خاص ، ويتجلى هذا الذوق في حسن اختياره لشعر الشعراء ونثر الكتاب . وأسلوبه فوق إلى انهُ يؤثر السجع الذي كان طريقة أهل زمانه . كما انه مولع أشد الولوع باقتفاء أثر أهل المشرق في تعبيراتهم وله في نقد الشعر جولات تدل على بصيرة وفهم وتذوق . فهو يروي الأبيات لشاعر اندلسي ، ولكنه لا يكتفي بذكرها بل يعلق

(١) الجزء الثالث من المجلد ٦٣ من المقتطف ص ٣٩١

عليها تعليقاً سريعاً هو أشبه بأحكام النقد الخاطفة في القرنين الرابع والخامس . وقد يردُّ المعنى المسروق الى صاحبه اثباتاً لفضل المسروق منهُ . ولكنه في كثير من مواضع النقد لا يتعرض للموازنة بين شاعر وشاعر أو بين معنى ومعنى بل يكتفي باثبات السرق وتسجيل الأخذ ، ويترك القارىء لحكمه وخصوص نقده

ويخيل اليَّ أن ابن بسّام لم يأخذ نفسه بمنهج خاص من مناهج النقد ، فهو حيناً يتتبع المعاني الشعرية ويردها الى اصحابها ويقف عندها وقفات قد تمتد كما هو سبيل الكلام فيه وهو أحياناً يمر على المعاني التي تستحق الوقوف عندها فلا يشير الى ما أخذها ولا يردها الى أصحابها . مرَّ على بيت لأبي حفص عمر بن الشهيد سطر ٢ ص ٢٠٠ فلم يذكره بقول ابن الرومي

فغدا كالخلاف يورق للسـ ـعين ورأبي الأنام كل الأباء

ولم يذكره بقول الآخر

في شجر المـرو منهمو مثلٌ له رُواءٌ وما له ثمـر

ومرَّ على البيت الآتي لابن الشهيد سطر ٩ ص ١٩٦

وأحسن من روض تحلى بنوره عيونًا ابن معن في حليِّ الفضائل

فلم يذكره ببيت أبي تمام في النصوغ والفكرة : —

وأجملُ من ورد تفتح نوْره بياضُ العطايا في سواد المطالب

ولابن بسّام غير هذا الاغفاء كثير ، ومحال على إلمام ابن بسّام ان يمر عليه تتبع هذه المعاني التي يخيل اليَّ انه قصد الى إغفالها

أما الجهد الذي بذله القائمون بنشر الكتاب فهو جهد خليق بالاطراء والاعجاب ، لما صحب ذلك من عناية كبيرة تبدو الآن في مخرجه . الهيئات العلمية والأفراد المحققون من موروث أدبنا القديم إخراجاً يحبب القارىء في قراءتها ويسهل عليه الرجوع اليها والاهتداء بها . وتلك عناية يجب أن يستحي منها قوم أهدروا أدبنا وتراثنا بما نشروه من كتب مشوهة مغلوطة

الا أن هذه العناية الكبيرة في كتاب الذخيرة لم تسلم من بعض هفوات في الطبع استدركها الناشرون في جدول خاص بالخطأ والصواب . ولكن هناك هفوات أخرى لم يشيروا اليها — وليس هنا موضع نشرها — ولكنني بارسالها الى الدكتور عبد الوهاب عزام طمعاً في أن تصحح في ذيل المجلد الثالث الذي تتوقف الظهور ، والقراء والأدباء على عزم من فسح اللغة العربية كلية الآداب ان يضيفوا الى « الذخيرة » كتباً أخرى من الامهات في الأدب العربي . » وتلك بداية فيها وعد السعادة بالمزيد .

محمد عبد الغني حسن